الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1_ الحاج لخضر

كلية العلوم الإسلامية قسم اللغة والحضارة الإسلامية

مخبر العلوم الإسلامية

الملتقى الوطني حول: مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية والإنسانية

د ط: عبير زكراوي **التخصص**: مقارنة الأديان

الإيميل: abirzekraoui6@gmail.com

الأستاذ المشرف د: يوسف العايب **التخصص**: مقارنة الأديان

الإيميل: laib_34@hotmail.com

كلية أصول الدين _ قسم العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية_ قسنطينة

المحور الثاني: المناهج والمجالات البحثية العلمية في العلوم الإسلامية والإنسانية.

عنوان المداخلة: تحاور وتجاور مجالات العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية

مقدمة:

هناك إجماع بين العلماء والمنظرين والمؤرخين حول اقتران نشأة العلوم الإنسانية و الاجتماعية بالقرن التاسع عشر تزامنا وبروز هالة العلوم التجريبية، و قد عرفت هذه العلوم نقدا جذريا لمقدماتها الإبستيمية وأسسها المنهجية و منطلقاتها النظرية، كونها ولدت في المجال التداولي الغربي، وأشبعت بمناهجه الطبيعية ورؤيته الحضارية الغربية العلمانية، ويمكننا القول أن إخضاع العلوم الإنسانية للنموذج الحداثي الذي يتوسل في نظامه المعرفي التجريبي أكثر المنافع المادية والذي يقوم على فصل العلم عن الأخلاق من جهة و من جهة أخرى نظرته التجزيئية للقيم هو ما أورث في الأخير ثغرة إبستيمولوجية و عدم إحاطة بمختلف جوانب الإنسان والذي يعتبر محور الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

ولهذا تحاول هذه الورقة الإجابة عن التساؤلات التالية:

_ ماهي أهم مظاهر الأزمة المنهجية في علوم الإنسان؟ وما أسبابها؟

_ ما هي سمات التحيز الغربي في العلوم الإنسانية، وكيف يمكن تجاوزه؟

_ ماهي مبررات وآليات التكامل المعرفي بين علوم الإنسان وعلوم الوحي؟

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدراسة من خلال ما يلي:

_ كون مناهج دراسة العلوم الإنسانية طبعت وصقلت عند الغربيين وأسست على نتائج وبحوث أجريت على مجتمعات تخالفنا جذريا سواء من حيث التوجهات والمصادر المعرفية والدينية.

_ شعور التناقض بين الأسس التي تقوم عليها أسس و مسلمات العلوم الإنسانية المعاصرة مقارنة بما يتعلق بأصل الوجود الإنساني وطبيعته، والذي يستند غالبا على الدين الإسلامي، وبالتالي قصور الإحاطة وفهم الإنسان العربي المسلم، وبالضرورة قصور المساهمة في خدمة الإنسان والمجتمع العربي الإسلامي خاصة والعلم العالمي في هذا المجال عامة.

_ تسليط الضوء على اضطراب المسلمات العلمية الغربية، فهم أصلا يشككون في منطلقاتها ومدى صحتها، وفي المقابل نجد العلماء العرب ينقلونها ويعملون بها

دون الرجوع إلى تمحيصها واستقاء ما ينفعنا منها فقط، لذا تتضح ضرورة إعادة النظر في تلك المسلمات التي تقوم عليها العلوم الإنسانية المعاصرة واتخاذ خطوة جديدة نحو التكامل المعرفي مع العلوم الإسلامية كأحد الحلول المقترحة.

أهداف الدراسة:

نهدف من خلال هذه الورقة إلى الكشف عن مدى العلاقة بين العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، ومجالات الاستفادة المعرفية المتبادلة بين العلمين كوجه من أوجه التكامل المعرفي بينهما، ولما يثمر من هذا التلاحق من تطور من خلال طرق دراستها و مساهمتها في تطوير وفهم الإنسان، والمجتمع، ومدى التأثير والتـأثر بينهما.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في تحليل الأفكار الخاصة بدراسة الظاهرة الإنسانية، و تفسير أسباب أزمتها واستنباط الآليات التي تؤدي إلى تطورها وتكاملها، كما تنتقل الدراسة إلى التأصيل بتقديم بدائل وحلول ملائمة للظاهرة الإنسانية ببيان أسسه ومناهجه عوض الاهتمام بالتراكم المعرفي واستيراده دون نقد وتمحيص، سعيا لبناء تكامل معرفي بينه وبين علوم الوحي من أجل بلوغ الغايات المرجوة و الحد من قصور الفهم والتفسير.

محتوى الدراسة:

مقدمة.

شرح للمصطلحات المستعملة في البحث: البحث العلمي، العلوم الإنسانية، العلوم الإسلامية.

1_ أزمة العلوم الإنسانية ونتيجة تأثرها بالعلوم الطبيعية.

2 _تحيزات النموذج في العلوم الإنسانية والاجتماعية _ من منظور عبد الوهاب المسيري.

3_ نموذج علوم الوحي وإمكانية إسقاطه في دراسة الظاهرة الإنسانية.

4_ الاستخدامات الإيجابية لنتائج العلوم الإنسانية في تنزيل علوم الوحي من النص إلى الواقع.

خاتمة

الكلمات المفتاحية:

البحث العلمي:

إذا حاولنا تحليل مصطلح" البحث العلمي "نجد أنه يتكون من كلمتين" البحث " و"العلمي"، فأما كلمة البحث هي مشتقة من مصدر الفعل الماضي بحث وتعني : حاول، تتبع، بحث، سعى، تحرى..الخ، ويقصد بالبحث لغويا كذلك الطلب أو التفتيش أو التقصي عن حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور، أما المقطع الثاني "العلمي "هي كلمة منسوبة إلى العلم، والعلم معناه المعرفة والدراية وإدراك الحقائق[1]. ويوجد عدة تعريفات للبحث العلمي تحاول تحديد مفهومه ومعناه، ومن جملتها:

_"عملية تقصي منظمة بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بغرض التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد لها".[2]

_ هو "الوسيلة التي يمكن بواسطتها الوصولُ إلى حلِ مشكلة محَّدَّدة، أو اكتشاف حقائق جديدة وذلك عن طريق التقصِي الشامل والدقيق بواسطة المعلومات الدقيقة التي يتم جمعها بإتباع أساليب علمية محددة[3] "

العلوم الإنسانية:

الإنسانية تدل على ما اختص به الإنسان من صفات وبالتالي المعنى الكلي

الدال على الخصائص المشتركة ببين جميع الناس كالحيوانية و الحياة و النطق[4] ، أما مصطلح العلوم الإنسانية فهو يطلق بالأساس على تلك العلوم التي تتخذ من الإنسان موضوعا للدراسة العلمية، و بما أن الإنسان يتميز بثلاثة أبعاد بعد

---

[1] محمد علي السيد ، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2011م، ص 373.

[2] المرجع نفسه، ص373.

[3] ماجد محمد الخياط. ، .أساليب البحث العلمي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001م، .ص22 .

[4] إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي ، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983م، ص195.

تاريخي، نفسي، اجتماعي .. فإن العلوم الإنسانية جاءت كنتيجة لهذه الأبعاد، و من ثمة جاز لنا القول بأن هناك علم التاريخ ، علم النفس، وعلم الاجتماع على سبيل الحصر لا على سبيل التفصيل، لأنّ دراسة الإنسان تتطلب في الحقيقة مجالا أوسع و أشمل و لعلّ هذا ما يجعل العلوم الإنسانية تختلف عن غيرها من العلوم كالعلوم المعيارية التي تهتم بوضع المعايير الحق الجمال الخير و منها ظهر علم الجمال علم المنطق علم الأخلاق، وبالمثل فهي تختلف عن العلوم الطبيعية التي تتخذ من الظواهر الطبيعية موضوعا لها[1] . و قد اعتبر لالاند في معجمه الفلسفي بأنّ العلوم الإنسانية تعبير حديث يدل على ما كان متفق على تسميته بالعلوم الأخلاقية، و يمكن رصد ذلك من خلال سلوك الأفراد و تصرفاتهم فرديا و جماعيا [2] وهذا يعني أن كلمة علوم إنسانية تنطبق على العلوم المعنوية عند البعض نظرا لاهتمامها بالجانب الأخلاقي في مقابل مادي. ويفضل بعضهم تسميتها.

العلوم الإسلامية:

هي العلوم التي تفرعت عن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، مثل علم التفسير، وعلم القراءات، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم الحديث ،.. وغيرها.[3]

1_ أزمة العلوم الإنسانية والاجتماعية نتيجة تأثرها بالعلوم الطبيعية:

إن ما تشهده اليوم العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة من [4]تذبذب في مناهجها و الإشكاليات التي تواجهها، لم يكن وليد اللحظة، بل إن هذه الأزمة اقترنت بشكل مباشر بنشأة هذه العلوم ، فلم يكوّن بعد نسق متكامل من القوانين التفسيرية في أي مجال من مجالات العلوم الإنسانية يماثل من حيث القوة المنطقية أنساق القوانين التفسيرية في أقل فروع العلوم الطبيعية ، وهذا ما ساعد في بريق المنهج التجريبي فأصبح علماء العلوم الإنسانية يتسابقون بغية إنشاء علم إنساني على نسق العلوم

---

[1] المرجع نفسه، ص127.

[2] أندري لالاند، المعجم الفلسفي، تر: لعريب خليل احمد خليد ، منشورات عويدان، بيروت، ط2 ،مج1، 2001م ، ص1254.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، ط1،دار العرب، دمشق، 2004م، ص 171.

الفيزيائية والرياضيات من حيث المنهج فأصبحت جميع العلوم أداتيّة أو ذرائعيّة، وبذلك أفرغت الميثودولوجيا الغربيّة العلوم الاجتماعية والانسانية من مضامينها الروحيّة والأخلاقيّة وقيّدت الغايات بل أبعدتها عن دورها الحقيقي في تقرير الحياة والتاريخ.

هذا التخلف النسبي هو أساس ما يعرف بأزمة العلوم الإنسانية، وقد باتت هذه الإشكالية تؤرق الباحثين حتى بتنا لا نجد من المهتمين بفلسفة العلوم الإنسانية ومناهجها من لا يشير إلى تخلفها النسبي عن العلوم الطبيعية. ويمكن حصر أبرز مشاكل العلوم الإنسانية والتي تحول دون تقدمها مقارنة بالعلوم الطبيعية في نقطتين: أولهما مشكلة النموذج فمازالت العلوم الإنسانية غير قادرة على ضبط نموذج واضح ومتفق عليه وفق آليات وأدوات تؤدي بنا للنتائج المرجوة وبقي المجال مفتوحا أمام نماذج متعددة للمقاربة والفهم. ثانيهما الإشكالية الأخلاقية و مسألة استيلاب جوهر الإنسان، وإسقاط مناهج العلوم الطبيعية الجامدة عليه دون الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الأخلاقية والدينية المرتبط به. هذا ما أورث خاصة علوما إنسانيّة واجتماعيّة مأزومة ابستمولوجيا وغير محيطة بمختلف جوانب الإنسان، مع أن العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ما ظهرت إلا لتساهم في بناء المجتمعات وتوجيهها، ولكن بعد أن أفرغت هذه العلوم من مضمونها القيمي بالتخلي عن البعد الأخلاقي والديني تأثرا بالفكر المادي أضحى العجز عن تقويم السلوك الإنساني يزداد صعوبة، وتراجعت مكانة الإنسان خاصة أمام التطور التكنولوجي ووسائل الحياة الراقيّة وحيث أصبحت قيمة الإنسان ومكانته تقاس بمقدار قدرته على امتلاك التكنولوجيا، فلم يعد الإنسان يحترم أو يعامل كونه غاية في حد ذاته وإنما كونه غاية لغاية أخرى وهذا ما يدلّ أن ثمة أزمة أخلاقيّة قيميّة معرفيّة تعانيها العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة في الوقت الحاضر[1].

إن مسألة الصلة بين القيم والأخلاق وارتباطها بهذه العلوم الإنسانيّة تعدّ اليوم من أهم المشكلات الابستمولوجية التي تتشكل أمام جميع الحقول المعرفيّة تأسيسا وتدليلا والتفسير خاصة مع تطور هذه العلوم واتساعها وسعيها نحو الموضوعيّة والدقة و التفسير والاتجاه نحو علم إنساني خال من القيم محاكية العلوم الطبيعيّة

[1] غنيمة هارون، أزمة العلوم الإنسانية في علاقتها بالقيم والأخلاق، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد2022،2م، ص273.

كما سبق وقلنا، لأن القيم أو الأخلاق تكون من العلوم التي تؤسس ذاتها وفق المقدمات الضروريّة وهي مقدمات ذات مفاهيم متعالية تكتفي بذاتها، إنها من العلوم المعيارية لا تتجه نحو التفسير بل نحو التقويم والتوجيه.ومع أن القيم عامة والقيم الأخلاقيّة خاصة تكرست منذ فجر التاريخ البشري وفي جميع المجتمعات ولدى مختلف الأديان والفلسفات بوصفها عنصرا جوهريّا في إنسانيّة الإنسان، وهذا ما برهن عليه الإنسان المعاصر عبر تاريخ فكره الإنساني أي أن الأخلاق والقيم الأخلاقيّة ماهيّة إنسانيّة وليست خاصيّة عرضيّة مؤكدا بذلك أيضا مبدأ شمول التجربة الأخلاقيّة لكل آفاق الوجود البشري، ومن ثم فهي تواكب حالة الفكر وحالة الفعل ولهذا نظر إليها دائما" بوصفها مرجعا متعاليا وأداة تقويم ومنهج بناء وتشييد، بحيث تتضمن جانب الدافعيّة و الحافزية لإنجاز الفعل الإنساني الأخلاقي"[1]. ومن ثمة فإن تحديدها يجب أن يكون" لا باعتبارها المثالي ولكن باعتبارها واجبة الوجود لما فيها من الصلاح والصلاحيّة وضمن معادلات الوعي والسعي وهي تؤثر مآلا في اختيار الأهداف واتساقها وتحديد المسالك والأساليب والوسائل المتعلقة بالفعل بالتي هي أحسن وتتجسّد مظاهرها بالاتجاهات والأنماط السلوكيّة والمثل والمعتقدات والتفضيلات والمعايير فضلا عن الرموز الأساسيّة وترتبط جملة بالبناء الحضاري بحيث تؤثر فيه وتتأثر به في التطبيقات والوسائل".[2]

فالوجود الأساسي للأخلاق متزامن مع الوجود الإنساني ولكن بعد الخطابات المعاصرة المجردة للقيم من مضمونها المعنوي والديني وربطها باتفاقات تعطي قضايا محدّدة القيمة، فأضحت القيم الأخلاقية بذلك نظرا إلى ارتباطها بالإرادة والتجربة في الفعل الإنساني قناع تمرير لمقاصد متصادمة مع إنسانيّة

الإنسان. وباتت مقتبسة من مفاهيم وعلوم وأيديولوجيات أخرى وما عاد الإلزام الخلقي يأتي من الله ولا من الدين ولا من الدولة بل من الفرد في حد ذاته، لقد أصبح الإلزام معزولا يُنتج ذاته ويبرّر ذاته.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 288

[2] عبد الفتاح سيف الدين ، مدخل القيم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، دط، 1999م ،ص 58.

[3] أزمة العلوم الإنسانية في علاقتها بالقيم والأخلاق، مرجع سابق، ص289.
انظر: موران إدغار، أخلاقيّة التعقيد ومشكلة القيم في القرن الحادي والعشرين، ضمن القيم إلى اين؟،تر: زهيدة درويش جبور وأخرون، دار النهار، بيروت، ط 1 ،2005م ، ص103

والحقيقة غير ذلك كله لأن القيم أو التقويم في العلوم الإنسانيّة من المفروض أنها تنفرد كجزء جوهري من الوقائع التي يدرسها الباحث، ولكن ليس بالمعنى الذي يجعلها الالتزامات الخاصة بالباحث بل بوصفها التزامات باطنة في الظاهرة الإنسانيّة نفسها، وإن كانت العلوم الطبيعية قد تجاوزت التفسير الغائي فإن ذلك لا يمكن أن ينطبق على العلوم الإنسانية، فالإنسان والمجتمع مرتبطان بالقيم ويسيران وفق غاياتها. ولهذا فالأخلاق فرع من فروع الفلسفة الإنسانية وتتسع دائرتها لتشمل السلوكات الحياتية للإنسان: الاقتصادية، الاجتماعية.. فالقيم الأخلاقيّة هي القواعد التي تنضبط بها جميع الممارسات خاصة أن الغائيّة الكبرى للوجود الإنساني هي غائيّة أخلاقيّة في أصلها و الارتقاء بحظوظ النفس إلى سمو القلب ولأن التكليف أو الالتزام بالأوامر الإلهيّة واجتناب النواهي يقوم في حقيقته على الحريّة، وتبعا لذلك فإن الحريّة في الممارسة الأخلاقيّة هي الحريّة الحقيقيّة وما عداها هو حريّة عبيد. ولابد أن تربط الاخلاق بجذور الوحي والماورائيات من حيث أن مصير الإنسان ومبدأه مبني على أفعاله الأخلاقية كما هو الحال في الأديان السماوية الثلاث.[1]

إذا ما نلخص إليه مما سبق تحديد مشكلة العلوم الإنسانية و تخلفها النسبي مقارنة بالعلوم الطبيعية بدأت في النصف الأخير من القرن الماضي وحتى اليوم، و أساس هذه الأزمة يكمن في الإطار النظري العلماني المادي الذي أسقط عنه الجانب الروحي و محاولاتها التفسيرية للسلوكيات والظاهر الإنسانية وفق المناهج التجريبية المرهونة بلغة الرموز و التجربة و إسقاطها لمبدأ الغائية الذي يفسر الظاهرة بأهدافها المستقبلية على عكس منطق العلم التجريبي الذي يفسر الظاهرة بعللها السابقة _فيما يخص علم الاجتماع_ بالوقوف على مسح الظاهرة و الاستسلام التام للمعطى التجريبي، وتفتيتها إلى ذرات مغفلة الطبائع التكاملية للكيانات الإنسانية، بافتراض الإنسان مجرد متلق سلبي لعوامل البيئة والوراثة.[2] وإغفال البعد الأخلاقي والقيمي في جانب العمليات الاجتماعية والنفسية التي تحدث حين تغير كمي أو كيفي في ظاهرة اجتماعية ، ففشلت جميع الأساليب الوضعية

[1] غنيمة هارون، أزمة العلوم الإنسانية في علاقتها بالقيم والأخلاق، مرجع سابق، ص292.
[2] يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية_ تقنينها وإمكانية حلها، دار هنداوي، المملكة المتحدة، 2014م، دط، ص 42_43، بتصرف.

في دراسة نوايا الأفعال الأخلاقية ومضامينها الباطنية، الأمر الذي يجعل الحكم عليها هباء إن لم يكن لدينا إيمان عميق باستناد الوجود الإنساني إلى الخلق الإلهي.

2_ تحيز "النموذج" في العلوم الإنسانية _من منظور عبد الوهاب المسيري:

. لقد غدت إشكالية التحيز علامة بارزة على فكر الدكتور المسيري تقول الباحثة فريال جبور غزول" :لا يمكن أن يذكر التحيز ولا يذكر حاضرا أو غائبا عبد الوهاب المسيري، لأن جزء من شروعه هو دارسة التحيز[1]"، لقد لاحظ د . المسيري أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر، ومع انتصار وانتشار الإنسان الغربي وقيامه بتدويل نماذجه الحضارية والمعرفية، من خلال انجازاته العلمية والتقنية وهيمنته العسكرية والاقتصادية، بدأت الكثير من شعوب العالم تتبنى تحيزات الإنسان الغربي، أي اعتناق مسلماته ورؤاه السياسية والمعرفية ومعاييره القيمية والسلوكية، وتخلت بالمقابل عن تحيزاتها الخاصة[2]، وبما أن العرب نقله أمينون لكل المصطلحات الغربية دون نقد أو تمحيص، فإنهم توقفوا عن إبداع المصطلحات الخاصة بالظاهر التي تحتاج لدراسة في مجتمعاتنا العربية، لأنهم ببساطة لا يبادرون لدراسة إلا ما يدرسه الغربيون، واكتفوا بنقل ما استجد من مصطلحات الغرب بأمانة ملفتة، سواء كانت مناسبة ومطابقة لما يرون أنه قابل للتطبيق في واقعنا ومجتمعاتنا أم لا. وقد استوقفت إشكالية التحيز اهتمام د. المسيري عند درسته للظواهر الإنسانية، واختار مصطلح "التحيز" بالرجوع إلى المعجم اللغوي الغربي، وفيه أن التحيز يعني الانضمام والموافقة في الرأي وتبني رؤية ما، مما يعني رفض الآراء الأخرى. وقد اختار هذا المصطلح ليطلقه على مجال جديد لدراسة ظاهرة إنسانية من صميم المعطى الإنساني، ومرتبطة بإنسانية الإنسان، كما كان يرى وهي ظاهرة التحيز. وبالتالي باتت الحاجة ماسة _كما يقول المسيري_ إلى البدء من نقطة، ولتكن وضع أسس علم جديد له آلياته ومناهجه و مرجعيته، يتعامل مع قضية التحيز هذه، ويفتح باب الاجتهاد بخصوصها. والتحيز في الأخير، ليس مصطلحا يضاف إلى ترسانة المصطلحات التي عُرف بها المسيري فحسب، بل هو أكثر من ذلك دالا على مشروع فكري ومعبرا عن رؤية منهجية نقدية تتعامل مع واقعا لمعرفة الإنسانية المعاصرة،

---

[1] عبد المالك لحسن، إشكالية التحيز في العلوم الإنسانية، مقاربة نقدية لفكر عبد الوهاب المسيري، مجلة مقدمات، الجزائر، العدد5،جانفي 2018، ص1.

[2] عبد المالك لحسن، إشكالية التحيز في العلوم الإنسانية، مقاربة نقدية لفكر عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق ، ص2.

تقتضي هذه الرؤية وهذا التعامل وعيا منهجيا ونقديا بما في المناهج والنماذج الغربية السائدة اليوم، من أبعاد قيمية ومواقف ايديولوجية وعقدية مخبوءة ومستترة[1].

يعتبر المسيري أن من أشد أشكال التحيز وأكثرها شيوعا وتأثيرا في العالم، هو التحيز للنموذج

الحضاري الغربي، فمن خلال بعض الأمثلة الواقعية التي تعكس ولع الكثير منا بالنماذج الغربية سواء ما تعلق منها بالموضة أو الديكور والعمران وغيرها، يستنتج المسيري أننا تركنا تراثنا وتبنينا تراث الآخر بكفاءة عالية، والتهمنا منتجاتهم الحضارية ، ووضعناها في بيئتنا التي تتصارع معها فكنا" **كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**"، ونتيجة لطبيعة النموذج الحضاري الغربي الذي يتسم بالبساطة والعقلانية والنفعية والمادية، ونظرا لانتصاراته المعرفية والعسكرية والتقنية، أصبحت محاولة اللحاق بالغرب هي جوهر جميع المشاريع النهضوية العربية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ولم نقم بالتالي بأي عملية نقدية إبداعية واعية لتراثنا وتراثهم. إن هيمنة النموذج الحضاري الغربي لا يجب أن تلهينا عن إدراك تحيزاته الكامنة والخطيرة، وهو ما دفع بالمسيري إلى تحديد أهم عناصر التحيز في النموذج الغربي فذكر منها، أنه من حيث طبيعته نموذج عقلاني نفعي مادي، وهو بذلك" متحيز للطبيعي المادي على حساب الإنساني وغير المادي، وهو نموذج متحيز للعام على حساب الخاص، وللمحسوس والكمي والبسيط على حساب غير المحسوس والكيفي والمركب" ، وهو كذلك متحيز للموضوعي على حساب الذاتي، وهذه التحيزات كلها صادرة عن الإيمان بالواحدية المادية التي هي تعبر عن رؤية كلية ناجمة عن تصفية للثنائيات وعلى رأسها ثنائية الخالق والمخلوق[2].

وقد وضع المسيري آليات من شأنها تجاوز معضلة التحيز في العلوم والمعارف الانسانية وبناء براديغم جديد مستند على المرجعية الدينية (القرآن والسنة) منتقدا بذلك النموذج الغربي و مشيرا إلى أربع آليات لاستبداله وتجاوزه:

---

[1] المرجع نفسه، ص5.

[2] عبد المالك لحسن، إشكالية التحيز في العلوم الإنسانية، مقاربة نقدية لفكر عبد الوهاب المسيري ،ص8 .

1_ **إدراك حتمية التحيز وضرورة النقد الكلي**: فإذا ادركنا أن العلوم الانسانية على مستوى

الممارسة مهما بلغت من التجرد أو الموضوعية درجة عالية، فإنها تحوي في باطنها تحيزات أصحابها سواء الفلسفية أو العقدية، و لذلك فإنه ينبغي الحذر من تلك التحيزات والعمل على نقد المناهج و تطبيقاتها.

2 _**توضيح نقائض النموذج المعرفي الغرب:** من أجل التحرر من قبضة النموذج و هيمنته يجب دراسة جوانب القصور والضعف الكامنة فيه ولا يتم ذلك إلا بدراسة أزمة الحضارة و المناهج الغربية

3_ **نسبية الغرب:** النقد الذي ينبغي أن يمارس على النموذج الغربي ليس الهدف منه الفضح و التفكيك، بل هي عملية تهدف إلى الفهم المتعمق الذي يمكننا من فرز محتويات الترسانة المعرفية الغربية و عزل ما هو خاص عما يصلح ليكون عاما وعالميا يعبر عن الإنسانية المشتركة، وبالمقابل إبراز خصوصيات الحضارة الغربية.

4_**الانفتاح على العالم**: لابد من الانفتاح على ثقافات العالم المتنوعة، وعدم الاكتفاء بالنموذج الحضاري الغربي[1]

3_"نموذج" علوم الوحي وإمكانية إسقاطه في دراسة الظاهرة الإنسانية:

قدم الدكتور المسيري حالة فريدة من حالات إدراك التحيز كما سبق وذكرنا، فشرع في تنسيق حملات علمية منظمة لنقد الغرب، وحضارته المادية عديمة الروح والأخلاق، ودعا لكشف التحيز في مختلف فروع العلوم الإنسانية وبدأ في تقديم اقتراحات أولية في سبيل البناء الجديد للمشروع الإسلامي المستقل وتتلخص اقتراحاته في ثلاث محاور أساسية:

1 محور **النقد** ويدعو فيه إلى ممارسة النقد وبأعمق ما يمكن للحضارة الغربية

2 محور **الإبداع** وهو يتضمن ناحيتين: الأولى تحديد النموذج المعرفي الإسلامي على مستوى عال من التجريد، حتى يمكننا توليد معارف إسلامية حديثة، والثانية

[1] رغداء زيدان، مفهوم التحيز عند الدكتور عبد الوهاب المسيري ، الملتقى الفكري للإبداع، تاريخ النشر 2010_04_14 www .almultaka .org

توليد المعارف الإسلامية من النموذج المعرفي الأساسي الذي تم تجريده، حتى نصل إلى طرح بديل حقيقي للنموذج المعرفي الغربي.

3 محور **مراكمة المعلومات** من منظور معرفي حضاري عربي إسلامي، يشجع على الإبداع والتجديد.[1]

إذا نخلص مما سبق إلى سمات النموذج البديل الذي يقترحه المسيري الذي يقوم على المنطلقات التالية:

_يرتكز هذا النموذج على الخصوصيات الحضارية لأمتنا، فهو نموذج نابع من تراثنا الحضاري

_الإسلامي ومستند إلى المرجعية الدينية (القرآن والسنة.) ينطلق من الإنسان وينتصر لمركزيته وريادته على الطبيعة.

_هو نموذج توليدي غير مادي وغير تراكمي.

_نموذج غير اختزالي ولا تصفية فيه للثنائيات سواء ثنائية الطبيعي/الانساني أو الخالق، المخلوق.

_نموذج يرفض الواحدية السببية، ويؤمن بالتعددية والتنوع والنسبية. هذه الأسس جميعا" هي اعتراف بوجود اللامحدود أو المطلق، وهي تعني أن الظواهر الإنسانية والطبيعية تحوي بداخلها قدرا من القداسة أو الحرمة، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالإيمان بمطلق متجاوز للمادة وللكون، هو في الرؤية الإسلامية **(الله)** ، الذي ينفرد بالوحدانية وهو الذي يجسد ما يسميه المسيري" **المرجعية النهائية المتجاوزة**[2]"، في مقابل المرجعية المادية الكامنة التي لا تؤمن بوجود إله.

.ومن البشائر التي يحملها هذا النموذج البديل، هو الوصول إلى وضع مصطلحات بديلة نابعة من هذا النموذج وليست مستوردة، وإبداع نماذج تحليلية تتجاوز الواحدية المادية.

[1] إشكالية التحيز _رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، ج2، ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط 3 ، 1996م، ص 632_633.

[2] المسيري عبد الوهاب، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد ،مرجع سابق، ص33.

4_ الاستخدامات الإيجابية لنتائج العلوم الإنسانية في تنزيل علوم الوحي من النص إلى الواقع:

كما ذكرنا سابقا إن علوم الإنسان نشأت وتطورت في الحقل المعرفي الغربي، غير أن هذه العلوم نتيجة خصوصيتها الإبستيمية ونتيجة اختلافها عن العلوم المادية، فإنها ما إن نقلت إلى العالم العربي الإسلامي لم تؤت أكلها المعرفي بسبب التحيزات الثقافية والحضارية والقيمية التي تشكل أعمدتها النظرية المنهجية. ومن هذا المنطق سعى العديد من الباحثين لتأصيل إسلامي لهذه العلوم، ويتمثل المنطق الأساسي لعملية أسلمة علوم الإنسان في كيفية الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون، أي قراءة الكون وفهمه واكتشاف سننه، وقراءة تصطحب سنن الكون في فهم آيات الوحي.[1]

إن الباحث في علوم الإنسان ينطلق من رؤية إسلامية إلى العالم، لا يمكن له أن يتجاوزها، ومن هذا التصور صاغ العديد من الباحثين الإسلاميين مداخل منهجية لدراسة الظواهر الإنسانية من منطلق منهجي أصولي، على سبيل المثال : علم المقاصد كنموذج معرفي لدراسة الظواهر الاجتماعية،

حيث اعتبر أن مدخل المقاصد يمثل نموذجا معرفيا متكاملا بما يشير إليه المدخل من رؤية كلية وعمليات منهجية، وبما يفرزه كذلك من أدوات بحثية وهذا تحديدا غاية اهتمامنا في هذا البحث هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن علوم الوحي تعاني هي الأخرى من أزمة مركبة هي: أزمة منهج، وتنزيل، و تفعيل، وتصحيح مسار، وأزمة في الغائية والمقاصد، ولذلك فلن تتمكن إذا بقيت على حالتها تلك من إعطاء المسلم المعاصر الرؤية المطلوبة لإعادة بناء عقله وتشكيله. وبالتالي فهي تعاني من إشكالية التجديد على مستوى المناهج لاستيعاب الواقع والتغيرات التي يعرفها.[2]

إن المناهج التي تتبعها الدراسات الإنسانية تعنى بدراسة الواقع وكل تمظهراته وتشكلاته في السياقات المختلفة، ولقد تطورت هذه المناهج في الحقل المعرفي الغربي بشكل جعلها تسهم في فهم واقع تلك المجتمعات والتحكم في الكثير من

---

[1] عبد الحليم مهور باشة، معاينة دور التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع، مجلة دورية نماء لعلوم الوجي والدراسات الإنسانية،الجزائر، العدد1، 2016م، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

الظواهر وحل الكثير من المشكلات الاجتماعية، لذلك فالقوة المعرفية لعلوم الإنسان لا تأتي من بناءاتها الإبستيمية بقدر انطلاقها من فهم الواقع والعودة إليه تحليلا واستيعابا تجاوزا. فإذا تم وصل مناهج علوم الفقه وأصوله بهذه المنهجيات القائمة على دراسة الواقع وفق منهج استقرائي بدلا من المناهج الاستنباطية التي يوظفها منهج أصول الفقه في فهم النص الديني، فمعرة المقاصد منهجيا لا تكفي لأن يكون الاجتهاد مبنيا عليها ومحققا للغاية منها، وإنما يحتاج الأمر _مع هذا_ إلى فقه الواقع وملابساته، ويشمل هذا الفقه كل ما ينطوي عليه الواقع من مشكلات اجتماعية واقتصادية وفكرية ونفسية، فإننا سنصلها بالواقع الموضوعي ولابد ان نقف وقفة مع أصول الفقه تصله بواقع الحياة، لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهي أصبحت تؤخذ تجريدا، حتى غدت مقولات عقيمة لا تكاد تلد فقها البتة. [1]لذلك فإن الطريقة المنظمة للبحث التي تستخدم في دراسة الظواهر الاجتماعية من التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والوجود على وجه يجمع بين المناهج الأصولية المعتمدة في الاستنباط من نصوص الكتاب والسنة، ومناهج البحث الواقعية _ الميدانية_ المعاصرة بصورة متكاملة، فالفقيه في حاجة إلى توظيف وإدراك الأنثربولوجي واللغات، وربما السياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع الديني، وقد يلجأ الفقيه إلى بعض العلوم الطبيعية وخبراتها وعلمائها حسب الحاجة وما يستجد عليها. وفي المقابل تسهم علوم الوحي في تطوير مناهج علوم الإنسان من خلال تزويدها بعديد الفرضيات البحثية، والتي يمكن أن تساعد الباحثين في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، حيث يعتبر الوحي أحد المصادر المعرفية التي يمكن أن تتكئ عليها علوم الإنسان في صياغة معارفها الموضوعية. كما وساعد الفكر المقاصدي لعلوم أصول الفقه على إعادة الوصل بين العلوم في وحدة ثنائية واحدة، وتجاوز تلك الثنائية التي تفصلها إلى علوم عقلية وعلوم نقلية وتجاوز التقسيم التقليدي الذي ترسخ في الأذهان لأنها تبحث في الإنسان و علاقته بمحيطه الاجتماعي والطبيعي .[2] وهذا ما يجسد تماما فكرة التكامل المعرفي بين علوم الإنسان وعلوم الوحي والذي يسهم في تحقيق آلية الخدمة من خلال خدمة كل علم للآخر من أجل فهم الواقع بشكل أفضل وإعادة الوصل بين علوم العقل وعلوم النقل من جديد لتحقيق وحدة العلوم في المجال الإسلامي.

[1] عبد الحليم مهور باشة، معاينة دور التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع ، مرجع سابق، ص 34.
[2] المرجع نفسه، ص36.، بتصرف.

خاتمة:

وفي ختام ورقتنا نخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات المتمثلة في أن:

_ نشأة علوم الإنسان في الحقل الغربي وفق نظم مادية وآيديولوجية حال دون أن تأت أكلها بعد أن نقلت هذه العلوم إلى العالم العربي و الإسلامي وهذا لتناقضها الصريح مع الرؤية الإسلامية للوجود الإنسانية ومدى تكامله والمنظومة الأخلاقية، و لاستيراد النموذج المعرفي الغربي والتحيز له دون الرجوع إلى نقده ودراسته كإنتاج حضاري إنساني له سلبياته وإيجابياته.

_ الأزمة الإبستيمية التي تعاني منها علوم الوحي وتتمثل في استشكال استيعابها للواقع المعاصر، وبالمقابل ما تعانيه العلوم الإنسانية من قصور مناهجها ونظرياتها، وبالتالي يصبح من الضرورة السعي لتجسير علوم الإنسان وعلوم الوحي لتجاوز أزمتهما وبذلك فإن:

_ العلوم الإسلامية قابلة ذاتيا للتجديد والتجدد، باعتبارها مستمدة من الوحي خادمة للإنسان والكون.

_ مراعاة الواقع مبدأ أصيل في البنية الأصولية للعلوم الإسلامية والانتباه إلى العوائق المنهجية والموضوعية التي تمنع الباحث من التصور الصحيح للقضايا العلمية والمنهجية المتعلقة بعلوم الوحي.

_ قابلية العلوم الإسلامية للاستعانة بعلوم العصر، والنهوض بالتجديد في العلوم الإسلامية في جانب المناهج والمفاهيم الراهنة دون إغفال النقد والتمحيص مع ما يتماشى والضوابط الشرعية.

التوصيات:

_ العناية بإنجاز بحوث جامعية في بيان الجسور الممكنة بين العلوم، وعرض قطعيات العلوم الإسلامية وقواعدها الثابتة بطرق علمية معاصرة.

_ إنشاء مراصد لتوصيف مناهج العلوم الإسلامية وحصرها، وتعريفها، وبيان تطورها.

_ ضرورة الاطلاع على جهود الغربيين في مجال دراسة العلوم الإسلامية وتدريسها، والإفادة منها، ومواصلة السير بالاجتهاد في الإنتاج العلمي في العلوم الإسلامية حتى تحافظ على أدائها الوظيفي وقوتها الإجرائية لتظل خادمة لقضايا الأمة الإنسانية.

قائمة المصادر والمراجع:

إشكالية التحيز _رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، ج2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، ط 3 ، 1996م

رغداء زيدان، مفهوم التحيز عند الدكتور عبد الوهاب المسيري، الملتقى الفكري للإبداع، تاريخ النشر 14_04_2010 www. almultaka .org

عبد الحليم مهور باشة، معاينة دور التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الإنسان في فهم الواقع، مجلة دورية نماء لعلوم الوجي والدراسات الإنسانية،الجزائر، العدد1، 2016م.

عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، ط1،دار العرب، دمشق، 2004م.

عبد الفتاح سيف الدين ، مدخل القيم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، دط، 1999م.

عبد المالك لحسن، إشكالية التحيز في العلوم الإنسانية، مقاربة نقدية لفكر عبد الوهاب المسيري، مجلة مقدمات، الجزائر، العدد5،جانفي 2018م.

غنيمة هارون، أزمة العلوم الإنسانية في علاقتها بالقيم والأخلاق، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد2022،2م،

ماجد محمد الخياط. .أساليب البحث العلمي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001م. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،1983م.

أندري لالاند، المعجم الفلسفي، تر: لعريب خليل احمد خليد ، منشورات عويدان، بيروت، ط2 ،مج1، 2001م .